٣ - والأرض.

٤ - وسائر الشهداء من النبيين والملائكة الكرام الكاتبين، ولكي تكمل الشهادة ويغرق المشهود عليهم في غمراتها فلا يجدوا سبيلاً لنكران.

وهنا ﴿عَلَيْهِم﴾ تعم المرسل إليهم إلى المرسلين، قصًّا بعلم لما فعل الرسل وما فعل المرسل إليهم، قصّ غامر هامر لا يبقي ولا يذر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[١].

ولماذا هنا «قصٌّ» بديلاً عن «إنباء - أو - إخبار»؟ لأن أخبار الرسل والمرسل إليهم ليست كلها تُنبأ، إنما هي مواضع المسؤولية حيث تقص قصًّا عن كلِّ ما حصل، وكما يقصُّ القرآن أنباء ما قد سلف دون عرض لكلِّ ما حصل.

وهنا موازاة بين المسؤول عنه وبين المقصوص، فكل ما يُسأل عنه يُقص، وكلما يقص فهو مسؤول عنه، وقد يشمل السؤال والقص كافة المسؤوليات الفردية والجماعية وكما في حديث الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[٢].

فـ ﴿ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يشمل كافة المكلفين، معروفين لدينا ومجهولين، من الجنة والناس ومن سواهم من المسؤولين أجمعين، كما ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ تشمل إلى رسل الإنس الرسل الملائكية والجنية، ومن ثم كلّ المكلفين بالدعوة الرسالية من علماء ربانيين وآمرين وناهين، وأية داعية راعية، فقد تشملهم كلهم ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، فلا تجد مكلفاً يوم الدنيا إلّا وهو مسؤول يوم الدين دون إبقاء ولا إبطاء: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[٣].

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٢) راجع إلى ص ٢٦.
(٣) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

ذلك، ولأن الحشر يعم كافة ذوات الحياة وكما في آية الأنعام: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1] فمثنى المسؤولية تشملهم يوم الدين، مهما اختلفت درجاتها.

وهنا السؤال العام لا يناحر هناك عدم السؤال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾[2] حيث السلب يعني سؤال الاستفهام إذ ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾[3] ثم الإيجاب بين سؤال استجهال أو استفحام أو استعظام، تقديراً لطالح ما كان، وتقريراً لصالحه في ذلك الحشد الحشر العام.

وليس هناك - فقط - تساؤلات، فإنما يحلقها «الوزن»، فما هو ذلك الوزن؟ هل هو وزن الأبدان والأموال والتشخصات المدّعاة، أم ووزن الأنساب والأسباب وسائر الروابط المتخلفة عن الضوابط؟

أمّا هيه من أوزان من موازين الأرض ومقاييس أهليها المخلدين إليها؟ كلّا!:

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٣٩.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٤١.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا
تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا
تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ
فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ
أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى
لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا
مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ
أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا
وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ
ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا
ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ
وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا
عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾:

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ﴾.

وهل الوزن هنا الوازن أو الميزان أو الموزون أم نفس الوزن مصدراً؟ ثم الحق هل هو المعني من «حق» أو «الحق» الله، أم «الحق» المعروف من الله على العباد؟.

هنا احتمالات بضرب مثلث الحق المحتمل على الوزن فهي اثنتا عشرة.

والصحيح منها أن «الوزن» هنا هو الميزان، حيث ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾[1] ثم الحق أن «الحق» هنا هو الثالث من محتملاته، حيث هو «القسط» في آية الأنبياء، كما «الوزن» هنا هو الموازين هناك.

والتعبير عن الميزان بالوزن عناية إلى حق الميزان، إنه خليصه دون خليطه، فكأنه هو الوزن بعينه لا يشوبه شائب غير الوزن.

كما وأن ﴿ٱلْحَقُّ ۚ﴾ هو خالص الحق المرغوب غير المشوب، إذاً فالحق الحقيق بالاتباع من الله هو الميزان.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ جمع الموزون، لا الميزان، حيث الموازين هذه توزن وتقاس بالوزن الحق القسط.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

ثم الحق أن «الحق» خبر لمحذوف معروف هو «هو» والجملة - على تنكرها أدبياً - خبر لـ«الوزن» فلا تصلح «يومئذ» وما أشبه خبراً لـ«الوزن»، ولو كان «الحق» خبراً لـ«الوزن» بنفسه لكان الصحيح أدبياً «حق» ثم لا يتم المعنى حيث يعني أن «الوزن حق» ثابت لا حول عنه، وأما ما هو ذلك الوزن فلا خبر عنه اللّهم إلّا «هو الحق» الخالص غير الكالس، الفالس.

ولأن الخسران في التعارف إنما هو النقص في الأثمان، وهو يخص الأموال لا النفوس، فذكر الموازين هنا بثقلها وخفتها، إنما هو بمناسبة الخسران ليكون الكلام متفقاً وقصص الحال متطابقاً، فكأنه تعالى جعل نفوسهم لهم بمنزلة العروض المملوكة إذ كانوا يوصفون بأنهم يملكون أنفسهم كما يوصفون بأنهم يملكون أموالهم، وذكر خسرانهم لها لأنهم عرضوها للخسار والبوار فأوجبوا لها عذاب النار جهنم يصلونها وبئس القرار، فقد تجاوزوا حدَّ الخسران في الأثمان إلى حدِّ الخسران في الأعيان.

ووجه آخر هو أن الوزن لا يختص بالأثقال الجسمانية، بل هو في الروحيات أوزن، فالخسران فيها أخسر، والربح أمتن، فالحق - إذاً - أن ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾.

وليس «الحق» هنا هو الله، إذ لو كان هو الميزان للموازين لم يك وزن لأحد حتى يوزن به، إضافة إلى أن ميزانية الله نفسه لموازين العباد ظلم بهم عظيم، إذ لا يستطيع أحد أن يشابهه في أيّ شأن من شؤونه!.

ولا هو «حق» حيث القصد تعريف الوزن: ما هو؟ لا تثبيت أصله دون معرفة بكيانه، ثم ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ تفرعاً على «الحق» لا دور له إلّا بعد معرفة الحق بكيانه، لا التأكّد منه بكونه، مع أنه حق لا فقط «يومئذ» بل في كلِّ الأيام.

كما وليس «الوزن» هو الوزن مصدرياً حيث المصدر ليس هو «الحق»

الواقع الموجود، فإنما يخبر «الحق» عن واقع وهو هنا «الميزان»، وليس هو الموزون حيث لا يوزن الموزون بالموزون.

فصالح المعنى الوحيد إذاً أن «الوزن»: الميزان - هو «الحق» المقرر من الله لعباده، وحياً كأصل، ورسولاً كمصداق واقعي عملي للوحي، وكما تعنيه ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[١] فالموازين هي الوزن هنا، كما القسط هو الحق هنا، فـ: «الوزن الموازين» هو «الحق القسط» فلأن الموازين - جمع الموزون - عدة، كذلك الموازين - جمع الميزان - عدة، عدة بعدة ولا يظلمون نقيراً.

وكما الحق ليس هو صاحب الصالحات الموزونة، كذلك ليس هو الوزن، فإنما هو الحق علماً وعقيدة ونية وعملاً صالحاً وحالاً وقالاً[٢].

والوزن الحق هنا وهناك هو كتاب الله وهو رسول الله المتمثل في أقواله وأفعاله وأحواله كتاب الله[٣]، وقد يروى عنه ﷺ: «أنا ميزان العلم وعلي كفتاه»[٤]، فقد يوزن الرسل بكتب الوحي، وتوزن الأمم بهما، دونما تخلّف عن حق الله قيد شعرة[٥].

وليس الأعمال توزن بسائر الموازين روحية وجسمية[٦] إنما هو قسطاس

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٢) في البحار ٧: ٢٤٤: «سُئل رسول الله ﷺ عما يوزن يوم القيامة؟ فقال: الصحف» أقول: ولا تعني الصحف إلّا الأعمال بأوصافها حيث تقاس بالحق والقسط.

(٣) في المعاني بإسناده عن المنقري عن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ...﴾ [الأنبياء: ٤٧] قال: هم الأنبياء والأوصياء.

(٤) ملحقات إحقاق الحق ٩: ٢٠٩ و١٨: ٤١٧ و١٣: ٧٩ - ٨٠.

(٥) تجد تفاصيل البحث حول الوزن والموازين في آيات الأنبياء والمؤمنون والقارعة والكهف، فراجع إلى مجالاتها في الفرقان.

(٦) نور الثقلين ٢: ٥ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل وفيه: قال السائل: أو ليس توزن الأعمال؟ قال عليه السلام: لا - لأن الأعمال ليست بأجسام وإنما =

الحق من الله، فإذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب فانظر في قصد معناك وغور دعواك وغيّرهما بقسطاس من الله عَزَّوَجَلَّ كأنك في القيامة قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ فإذا اعتدل معناك بدعواك ثبت لك الصدق(١).

ذلك و«الموازين» هي جمع الميزان حقاً وقسطاً في آية الأنبياء: ما يوزن به، أو الموزون كما في آيتنا، وهي العلوم الربانية والعقائد والنيات والأقوال والأعمال الصالحة، فهي في صيغة جامعة «الحسنات» فقد يوزن بها بوزن «الحق» فيها، فكلّما كانت أقرب إلى الحق المرام فهي أثقل، وكلما كانت عنه أغرب فهي أخف وأسفل، حتى تكون خاوية عن الحق عن بكرته فهنالك خفة الموازين عن بكرتها، وبينهما عوان كما ولكلٍّ ميزان درجات، وهذه الآية وأضرابها تتحدث عمن محّض الإيمان محصناً أو محّض الكفر محضاً، ثم العوان بينهما عوان في الإفلاح والإفلاج(٢).

وأثقل الثقل في الميزان هو التوحيد الحق وحق التوحيد(٣)، كما أن أسفل السفل هو الإشراك بالله.

= هي صفة ما عملوا، وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفتها وإن الله لا يخفى عليه شيء، قال: فما معنى الميزان؟ قال: العدل، قال: فما معناه في كتابه ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨]؟ قال: فمن رجح عمله.

(١) مصباح الشريعة قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في كلام طويل: فإذا أردت، وفي الخصال عن محمد بن موسى قال سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: إن الخير ثقل على أهل الدنيا على قدر ثقله في موازينهم يوم القيامة وإن الشرّ خف على أهل الدنيا على قدر خفته في موازينهم يوم القيامة.

(٢) الدر المنثور: ٧١ - أخرج أبو الشيخ عن جابر قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يوضع الميزان يوم القيامة فيوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار» أقول: قد ينافيه ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] وإن الحسنات هي ثقل الميزان والسيئات هي خفتها، اللهم بتأويل أن الجامع بين الحسنات والسيئات له الموازنة بينهما دون أن يعني وزن السيئات.

(٣) المصدر أخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: والذي نفسي بيده لو جيء بالسماوات والأرض ومن فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعن في كفه الميزان ووضعت شهادة أن لا إله إلّا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن.

ولأن الموازين: الحسنات، تعم الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر، فثقلها يعمهما:

«فمن كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه يوم القيامة، ومن كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه يوم القيامة»[١] والقصد من الرجحان الثاني ما يترك به الرئاء، وإلّا فالسماوات بين الظاهر والباطن هي القصد والعدل.

ذلك، وفي مختلف الموازين بين أصحابها يقول الرسول ﷺ: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء»[٢] ولأن مدادهم هو الذي يمد المناضلين إلى خطوط النار بما وعوا منهم من آماد الإيمان.

فالعلماء هنا هم الربانيون بما استُحفظوا من كتاب الله، الذين تمتد علومهم إلى صحائف الصدور وسواها، ومن حصائلها في ذلك المد المديد معرفة غالية عالية للممدود إليهم الذين يضحُّون بأنفسهم في سبيل الله، إذاً فمداد العلماء هو حقاً أفضل وأوزن من دماء الشهداء، فأما إذا اجتمع العلم والشهادة فنور على نور، ثم العلم غير الممدود والشهادة الخالية عن شروطها المعرفية والشرعية، أو الجهل وعدم الشهادة، فهي أضلاع أخرى بعد صالح العلم والشهادة ليست بذلك النمط المرموق.

ولأن ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ «ونصنع الموازين القسط» إذاً فلا وزن للباطل، وإنما يقام الوزن للحسنات، ثم لا وزن للسيئات فإنها خفة الميزان[٣]: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ ومنهم الأخسرون

(١) الدر المنثور ٣: ٧١ - أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص عن علي بن أبي طالب عليه السلام: . . .

(٢) المصدر أخرج المرهبي في فضل العلم عن عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ: . . .

(٣) في التوحيد بإسناده عن أبي معمر السعداني عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: وأما =

أعمالاً: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[1].

ثم لكلٍّ ميزان وزن يخصه، فميزان التوحيد هو التوحيد الحق، وميزان الصلاة هي الصلاة الحقة، وهكذا كلُّ ميزان بوزنه وكلُّ وزن بميزانه، ويجمع الكلّ «الحق - و - القسط».

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ المؤاتية للحق والقسط ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ في الآخرة كما أفلحوا في الأولى، حيث يفلحون عقبات وعقوبات وصعوبات في الأخرى بثقل موازينهم التي هي أثقل من كلِّ ثقل، فلا تبقى عقبة إلّا وهم يجتازونها، فقد ربحوا أنفسهم دون خسران.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ وهي كلُّ موازينه، إذ لا موازين له حسنات ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾ بكلِّ موازينها ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ آفاقية وأنفسية ﴿يَظْلِمُونَ﴾: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[2].

ولأن الخسران في التعارف المتعوّد هو النقص في أثمان المبيعات

= قوله: «فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ وخَفَّتْ مَوازِينُهُ» فإنما يعني: الحسنات توزن الحسنات والسيئات، فالحسنات ثقل الميزان والسيئات خفة الميزان.

وفي الكافي بإسناده عن سعيد بن المسيب عن علي بن الحسين عليه السلام فيما كان يعظ به قال: ثم رجع القول من الله في الكتاب على أهل المعاصي والذنوب فقال عز وجل: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٦] فإن قلتم أيها الناس إن الله عز وجل إنما عنى بها أهل الشرك فكيف ذلك؟ وهو يقول: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] فاعلموا عباد الله أن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين وإنما يحشرون إلى جهنم زمراً وإنما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الإسلام - الخبر.

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٠٣-١٠٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٣.

وليست منها النفوس، فالإتيان به لها قد يعني مناسبة «الموازين» في عرصات الحساب ليكون الكلام متفقاً، وقصص الحال متطابقاً، فكأنه تعالى جعل نفوسهم لهم بمنزلة العروض المملوكة، إذ كانوا يوصفون بأنهم يملكون نفوسهم كما يملكون أموالهم، وقد عرضوا أنفسهم بكلِّ نفائسهم للخسار، وأوجبوا لها البوار وعذاب النار ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾[1]، فصارت في حكم العروض المتلفة، وتجاوزوا حدَّ الخسران في الأثمان إلى حدِّ الخسران في الأعيان.

وبتعبيرٍ أعمق هو أليق بحق الكلام لله الملك العلام نقول: كلُّ إنسان يملك نفسه بما ملّكه الله إياه، وعلى ضوئه يملك ما سواها، ثم جعل في مختبر الحياة الدنيا ومتجرها لكي يتاجر بكلِّ ما لديه من نفس ونفيس ليحصل على ما هو أنفس من النفس والنفيس، بثقل الموازين بعد خفتها، ولكنه باع نفسه بالأركس الأدنى وبقي صفر اليد عن كلِّ نفسه ونفيسه، خفيفاً عن كافة الموازين المعطاة والمكتسبة، فقد خلق في أحسن تقويم، وقرر له حسب مستواه أن يضيف تقويم كيانه إلى تقويم كونه، ولكنه رد نفسه إلى أسفل سائلين ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ - ﴿. . . فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ وذلك من أخسر الخسران: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾[2].

﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾:

﴿أَنفُسَهُمْ﴾ هنا هي حق ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ وهي فطرهم، وعقولهم التي عليها أن تتبنى فطرهم، وحواسهم التي هي بطبيعة الحال تتبع عقولهم وفطرهم.

فالخاسر نفسه هو الذي ضلّ عنها متغافلاً متجاهلاً، فهو - إذاً - خاسر

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٩.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١٥.